الخطـــابة

بقـــلم

أ.د/ على أحمد عبد الهادى الخطيب

الأستاذ فى قسم الأدب والنقد بالكلية

الخطابة لون من ألوان الأدب ، وهى محتاجة إلى البلاغة والخيال الرحب ، والقريحة الصافية ، والاستعداد النفسى كما هى محتاجة أيضا إلى رباطة الجأش والحماسة وغالبا ما نجد ذلك لدى الثائرين وأصحاب النفوس الأبية التى ترفض الظلم وتعشق الحرية ، والخطابة كالشعر لحمتها الخيال ، وسداها البلاغة ، وهى مظهر من مظاهر الحرية والفروسية ، وسبيل من سبل التأثير والاقناع ، تحتاج إلى ذلاقة اللسان ، ونصاعة البيان ، وأناقة اللهجة ، وطلاقة البديهة ، والعرب ذو نفوس حساسة وإباء ، وأولو غيره ونجدة ، فكان لهم فيها القدم السابقة والقدح المعلى ، وقد دعاهم إليها ما دعى الأمم البدوية من الفخر بحسبها ونجادها ، والذود عن شرفها وذمارها ، وإصلاح ذات البين ، والسفارة بين رءوس القبائل وأقبالهم أو بين الملوك وعمالهم ، وكانوا يدربون فتيانهم عليها منذ الحداثة ، ويحرصون على أن يكون لكل قبيلة خطيب يشد أزرها ، وشاعر يرفع ذكرها وربما اجتمعت الصفتان فى واحد فيكون خطيبا وشاعرا مثل « قس بن ساعدة الإيادى » و « عمرو بن معد يكرب الزبيدى » و « عجلان بن سحبان الباهلى »(١) وسحبان هذا هو « سحبان وائل » وهو خطيب العرب وأعش همدان ، « وكلثوم بن عمرو العتابى ويكنى بأبى عمرو »(٢) وعلى بن ابراهيم بن جبلة بن مخرمة ويكنى أبا الحسن(٣) ولبيد بن

---

(١) البيان والتبيين جـ ١ ص ٤٨ .

(٢) ذاته ص ٥١ .

(٣) ذاته ص ٥٢ .

ربيعة العامرى و « زهير بن جناب الكلبى »(٤) ومن الخطباء الشعراء « زيد بن جندب الإيادى » خطيب الأزارقة وهو الذى قال فيه الشاعر مشبها به :

كقس اباد أو لقيط معبد
وعذره والمنطيق زيد بن جندب(٥)

وهند بنت الخس ، وجمعة بنت حابس(٦) .

يقول الجاحظ : « أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة ، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ، ساكن الجوارح ، قليل اللحظ متخير اللفظ ، لا يكلم سيد الأمة ، ولا الملوك بكلام السوقة »(٧) ولذلك عددناها — أى الخطابة — من قبيل الشعر ، أو هى شعر منثور ، وهو شعر منظوم لكل منهما موقفه(٨) .

والخطابة تحتاج إلى الخيال والبلاغة والحماسة ، ويغلب تأثيرها فى أبناء عصر الفروسية ، وأصحاب النفوس الأبية ، طلاب الاستقلال والحرية مما لا يشترط فى الشعر ، ولذلك تشابهت جاهلية العرب وجاهلية اليونان من هذا الوجه ، لأن كليهما أهل شعر وخطابة ، وأهل

---

(٤) الأغانى ط الساس ج ٢١ ص ٦٥ .
(٥) البيان والتبيين ج ١ ص ٤٢ ، ٤٨ . الشاعر هو الاشل الارزقى .
(٦) ذاته ص ٥٢ .
(٧) البيان والتبيين للجاحظ ج ١ ص ٩٢ تحقيق هارون .
(٨) تاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان ج ١ ص ١٨٨

إباء واستقلال ، ولذلك كانت الخطابة رائجة لدى الرومان مع تأخرهم فى الشعر ، وللسبب ذاته قصر العبرانيون فى الخطابة مع تقدمهم فى الشعر لغلبة الذل والضعف على طباعهم فتحول خيالهم الشعرى إلى الشكوى والتضرع ، وانصرفت قرائحهم آلى نظم المراثى والحكم »(٩) أما العرب فهم أصحاب نفوس أبية ، وأهل حماس وروية ، يتمتعون بحس مرهف ، وذوق أدبى رفيع ، وخيال رحب ، وقرائح صافية ، وبيئة وطبيعة أذكت لديهم ذلك الخيال ، وسمت بأخيلتهم تلك الطبيعة الخلابة الساحرة ، ومن هنا فإنهم يدركون قيمة اللفظ ، ووزن العبارة ، فالكلمة البليغة تقيمهم ، والعبارة الرقيقة تقعدهم كما كان البيت من الشعر يرفع شأن قبيلة ، ويحط من قدر أخرى حيث كان للكلمة الرائعة أثر بالغ فى نفوسهم ، فهى تفعل فى النفوس فعل السحر ، وكيف لا ؟ والرسول ﷺ يقول : « إن من البيان لسحرا » ويقول « سهل ابن هارون : العقل رائد الروح والعلم رائد العقل ، والبيان ترجمان العقل »(١٠) وقالوا : « حياة العلم البيان »(١١) وقالوا أيضا : « البيان بصر ، والعى عمى »(١٢) .

ويقول ابن التوأم : « الروح عماد البدن ، والعلم عماد الروح ،

---

(٩) ذاته ص ١٨٨ ، ١٨٩ بتصرف .
(١٠) البيان والتبيين للجاحظ ج ١ ص ٧٧ .
(١١) ذاته .
(١٢) ذاته .
(١٣) ذاته ص ٨٣ .

والبيان عماد العلم »(١٣) فإذا كان المعنى شريفا ، واللفظ بليغا وكان صحيح الطبع بعيدا من الاستكراه ، ومنزها عن الاختلال مصونا عن التكلف ، صنع فى القلوب صنيع الغيث فى التربة الكريمة »(١٤) وحسبنا ما خبر به المولى عز وجل « الرحمن علم القرآن خلق الإنسان ، علمه البيان »(١٥) ألا ترى أن الشمس واحدة فى ذاتها ، وكذلك فى اعتقاد العربى ثم العجمى ، فإذا صرت إلى اسمها وجدته فى كل لسان من الألسن بخلاف ما هو فى غيره ، وكذلك الكتاب فإن الصور والحروف تتغير فيه بتغير لغات أصحابه وإن كانت الأشياء غير متغيرة بتغير الألسن المترجمة عنها(١٦) . ولشرف البيان وفضيلة اللسان قال أمير المؤمنين « على بن أبى طالب » رضى الله عنه : « المرء مخبوء تحت لسانه فإذا تكلم ظهر » وهذا من أشرف الكلام وأحسنه ، وأكثره معنى وأحضره ، لأنك لا تعرف الرجل حق معرفته إلا إذا خاطبته وسمعت منطقه . ولذلك قال بعضهم وقد سئل : « فى كم تعرف الرجل » ؟ قال : إن سكت ففى يوم ، وإن نطق ففى ساعة »(١٧) وقال بعض الحكماء « إن الله عز وجل أعلى درجة اللسان على سائر الجوارح وأنطقه بتوحيده »)١٨) .

---

(١٣) ذاته ص ١٩٣ . الترجمان . كزعفران وعنفوان . وبفتح التاء وضم الجيم : المفسر للسان .

(١٥) سورة الرحمن الآيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .

(١٦) نقد النثر لأبى الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادى ص١١ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان .

(١٧) ذاته ص ١٢ .

(١٨) ذاته .

قال الشاعر :

وهذا اللسان بريد الفؤا د يدل الرجال على عقله(١٩)

وقال الآخر :

وكائن ترى من معجب لك صامت
زيادته أو نقصه فى التكلم(٢٠)

واللسان هو ترجمان اللب ، وبريد القلب والمبين عن الاعتقاد بالصحة أو الفساد وفيه الجمال ، كما قال الله عز وجل « ولتعرفنهم فى لحن القول »(٢١) وكما قال النبى ﷺ وقد سأله العباس رضى الله عنه بعرفة فقال : فيم الجمال يا رسول الله ؟ فقال : « فى اللسان » إلا أنه لما كان النقص للناس شاملا ، والجهل فى أكثرهم فاشيا ، وكان كثير منهم يسرع إلى القول فى غير موضعه ، ويعجب بما ليس بمعجب من منطقه ، احتاطت العلماء على الدهماء ، بأن أمروهم بالصمت ، ومدحوه عندهم ، وأعلموهم أن الخطأ فى السكوت أيسر من الخطأ فى القول(٢٢) .

وقال بعضهم وقد سئل لزومه الصمت فقال : « أسكت لأسلم ، وأنصت لأعلم » وقيل « الصمت حكم وقليل فاعله » وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : « من كثر كلامه كثر سقطه »(٢٣) وقال عليه

---

(١٩) ذاته .

(٢٠) ذاته . البريد هنا الرسول .

(٢١) ذاته ص ١٢ .

(٢٢) ذاته .

(٢٣) ذاته .

السلام : « وهل يكب الناس على مناخرهم فى نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم » وقال بعض الفلاسفة لرجل سمعه يكثر الكلام : « يا هذا أنصف أذنيك من لسانك ، فإنما جعل لك أذنان ولسانا واحدا لتسمع أكثر مما تقول » .

قال الشاعر :

وفى الصمت ستر للغبى وإنما ... فضيحة ليت المرء أن يتكلما(٢٤)

وكل هذا إنما أرادوا به حجر الناس عن الكلام فيما لا يعلمون والتسرع إلى اطلاق ما لا يحصلون ، وكما أن الصمت فى أوقاته وعند الاستغناء عنك حسن ، فإن الكلام فى أوقاته وعند الحاجة اليه أحسن(٢٥) .

وروى عن على بن الحسين أنه قال « السكوت عما لا يعنيك أمثل من الكلام فيه ، والكلام فيما يعنيك خير من السكوت عنه » وقد يصمت الإنسان ويستعمل الكتمان لخافة ، أو رقبة ، أو اسرار عداوة أو بغضة ، فيظهر فى حركاته ولحظاته ما يبين عن ضميره ، ويبدى مكنونه مثل ما يظهر من الدمع عند فقد الأحبة ، ومن تغير النظر عند معاينة أهل العداوة(٢٦) .

ولذلك قال الشاعر :

إذا لقيناهم نمت عيونهم ... والعين تظهر ما فى القلب أو تصف(٢٧)

---

(٢٤) ذاته . الدهماء : العامة .

(٢٥) ذاته .

(٢٦) ذاته ص ١٤ .

(٢٧) ذاته .

واقتضت المنازعات بينهم أن يتفاخروا ويتنافروا ، فاحتاجوا إلى الخطابة فى الاقناع وتأليف الأحزاب ، وإن غلب فى موضوعات خطبهم المفاخرة بالأحساب والآداب فى المجالس والأندية العمومية والخصوصية وكانوا يخطبون وعليهم العمائم وهم وقوف فى أيديهم المخاصر ويعتمدون على الأرض بالقسى ، ويشيرون بالعصى والقنا ، وقد يخطبون وهم جلوس على رواحلهم(٢٨) . « فقد كان للخطابة فى الجاهلية شأن عظيم حيث أنهم كانوا يستخدمونها فى منافراتهم ، ومفاخراتهم وفى النصح والتوجيه والارشاد ، وفى الحث على قتال الأعداء والدعوة إلى السلم وحقن الدماء ، وفى مناسباتهم الاجتماعية المختلفة كالزواج والأصهار إلى الأشراف ، وكانوا يخطبون فى الأسواق والمحافل العظام ، والوفادة على الملوك والأمراء ، متحدثين عن مفاخر قبائلهم ومحامدها »(٢٩) . ونحن نعرف قصة وفد تميم إلى رسول الله ﷺ من قيام « عطارد بن حاجب بن زرارة » خطيبا بين يديه(٣٠) . ويقول « أوس بن حجر » فى رثاء « فضالة بن كلدة » .

أبا دليجة من يكفى العشيرة ... أمسوا من الخطب فى نار بليال(٣١)

---

(٢٨) البيان والتبيين جـ ١ ص ١٣٩ .

(٢٩) ذاته فى مواضع متفرقة من جـ ١ ص ١٠٩ ، ١٩٠ ، وجـ ٢ ص ٢٧٣ ، والأغانى جـ ١٥ ص ٥١ ، والمزهر للسيوطى جـ ١ ص ٥٠١ ، والأمالى لأبى على القالى جـ ١ ص ٩٢ .

(٣٠) تاريخ الطبرى القسم الأول ص ١٧١١ والأغانى طبع دار الكتب جـ ٤ ص ١٤٦ والبيان جـ ١ ص ٥٣ .

أم من يكون خطيب القوم إذ حفلوا
لدى الملوك ذوى أد وأقيال

وفى البيان والتبيين للجاحظ :

أبا دليجة من يوصى بأرملة
أم من لأشعث ذى طمرين ظمآل
أم من يكون خطيب القوم إن حفلوا
لدى الملوك أولى كيد وأقوال(٣٢)

ويقول فيه أيضا :

ألهفا على حسن إلائه
على الجابر الحس والجارب
ورقبته جثمات الملو
ك بين السرادق والحاجب
ويكفى المقالة أهل الدحا
ل غير معيب ولا عائب(٣٣)

ويعنى بقوله : « ورقبته » انتظاره إذن الملوك ، وجعله بين السرادق والحاجب ليدل على مكانته من الملوك .

---

(٣١) نقد الشعر لأبى الفرج قدامة بن جعفر البغدادى ص ٣٥ وديوان أوس ص ٢٢ طبع فيينا .

(٣٢) البيان والتبيين للجاحظ جـ ١ ص ١٨٠ تحقيق هارون وهو مى الى أن البيت الثانى لم يرو فى الديوان . انظر هامش رقم ٨،٧ ص ١٨٠

(٣٣) الفن ومذاهبه فى النثر العربى . د. شوقى ضيف ص ٢٧ و ٢٨ ط دار المعارف بالقاهرة الطبعة العاشرة .

وأنشد أيضا :

وخصم غضاب ينفضون رءوسهم
أولى قدم فى الشغب صهب سبالها
ضربت لهم ابط الشمال فأصبحت
يرد غواة آخرين نكالها(٣٤)

وابط الشمال يعنى الفؤاد ، لأنه لا يكون إلا فى تلك الناحية ، والخطابة أخت الشعر ، وغالبا ما يكون الخطيب شاعرا ، والشاعر خطيبا ، وكانت الخطابة فيهم قريحة مثل الشعر ، وكانوا يدربون فتيانهم عليها من حداثتهم(٣٥) ، وذلك لحاجتهم إلى الخطباء فى إيفاد الوفود كحاجتهم إلى الشعراء فى حفظ الأنساب ، والدفاع عن الأعراض ، بيد أنهم كانوا يقدمون الشاعر على الخطيب فى الجاهلية ولكنهم فى الإسلام قدموا الخطيب على الشاعر لحاجتهم إلى الإقناع وجمع الكلمة . ودلائل مختلفة تدل على أن منزلة الخطيب فى

---

(٣٤) البيان والتبيين للجاحظ ص ١٨١ الطملال ، الفقير . الحارب المحارب أو الذى يحارب للغير ما له ، يسلبه والحتمان جمع ، حتمة من الحتم بمعنى القضاء وايجابه أو حتمان الملوك ، أقضيتهم التى لا ترد . والحاتم . القاضى . الدحال المراوغة والمخادعة . وهذه الأبيات الثلاثة لم ترو فى ديوان أوس بن حجر . انظر هامش رقم ٤ جـ ١ ص١٨١ من البيان والتبيين تحقيق هارون .

(٣٥) البيان والتبيين للجاحظ ص ١٨١ نفض رأسه وأنفضه ينفضه : حركه ، والصهب السبال . كناية عن الأعداء وصهبة السبال من خواص الروم ، والصهبة : الشقرة والحمرة .

الجاهلية كانت فوق منزلة الشاعر ، ويقول : أبو عمرو بن العلاء :

كان الشاعر فى الجاهلية يقدم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشعر الذى يقيد عليهم مآثرهم ، ويفخم شأنهم ، ويهول على عدوهم ومن غزاهم ، ويهيب من فرسانهم ، ويخوف من كثرة عددهم ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم ، فلما كثر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا إلى السوقة ، وتسرعوا إلى أغراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر(٣٦) » ويؤيد أبا عمرو بن العلاء فيما ذهب إليه « الجاحظ » حيث يقول : « وكان الشاعر أرفع قدرا من الخطيب ، وهم إليه أحوج لرد مآثرهم عليهم ، وتذكيرهم بأيامهم ، فلما كثر الشعراء وكثر الشعر صار الخطيب أعظم قدرا من الشاعر(٣٧) وواضح أن الجاحظ يجعل كثرة الشعر والشعراء وحدها هى السبب فى تقدم الخطباء ، أما أبو عمرو فيرد ذلك إلى أن هذه الكثرة استتبعت تحول الشعراء إلى التكسب بشعرهم ومسارعتهم إلى الطعن فى أعراض ، ونظن ظنا أن تفوق الخطيب على الشاعر فى الجاهلية يرجع إلى طائفة متشابكة من الأسباب(٣٨) ، منها : أن الخطابة كانت من لوازم سادتهم الذين يتكلمون باسمهم فى المواسم والمحافل العظام ، ومن أجل ذلك كانت تقترن بها الحكمة والشرف والرياسة كما تقترن بها الشجاعة ، ويتضح ذلك فى مراثيهم ومدائحهم لسادتهم على نحو ما تقدم فى رثاء « أوس بن حجر » لفضالة ابن كادة » .

---

(٣٦) ذاته ص ٤٢ .

(٣٧) البيان التبيين للجاحظ جـ ١ ص ٢٤١ تحقيق هارون .

يقول الأعشى فى مديح خطيب بشدة الصوت :

فيهم الخصب والسماحة والنجـ
ـدة جمعا والخاطب الصلاق(٤٠)

ويقول الشاعر « زبان بن سيار بن عمرو الفزارى » :

ولسنا كأقوام أجدوا رياسة
يرى مالها ولا يحس فعالها(٤١)

يدينون فى الخصب الأمور ونفعهم
قليل إذا الأموال طال هزالها

لأنهم يجعلون العجز والعى من الخرق ، كانا فى الجوارح أم فى الألسنة . ويقول الشاعر « عامر المحاربى »(٤٢) :

أوائك قومى أن يلد ببيوتهم
أخو حدث يوما فلن يتهضما

وكم فيهم من سيد ذى مهابة
يهاب إذا ما رائد الحرب أضرما

---

(٣٨) ذاته ص ٨٣ .

(٣٩) الفن ومذاهبه فى النثر العربى د. شوقى ضيف ص ٢٨ ط دار المعارف . العاشرة .

(٤٠) البيان والتبيين جـ ١ ص ١٢٤ .

(٤١) ذاته ص ٤ .

(٤٢) المفضليات للضبى القصيدة رقم ٩١ .

وهم يدعمون القول فى كل موطن
بكل خطيب يترك القوم كظما
يقوم فلا يعيا الكلام خطيبنا
إذا الكرب أنسى الجبس أن يتكلما

ويضاف إلى هذا السبب فى تفوق الخطيب على الشاعر فى الجاهلية اتساع وظيفته ، إذ كان يفاخر وينافر عن قومه ، فيشترك بذلك مع الشاعر كما يشترك معه فى الحض على القتال ثم ينفرد بمواقف خاصة به كالوفادة على الملوك وكالنصح والإرشاد ، وخطبهم فى الأملاك والزواج مشهورة ، ومن أهم المواقف التى كان ينفرد بها ، أنه كان يدعو إلى السلم وأن تضع الحرب بين القبائل المتخاصمة أوزارها ، أما الشاعر فلم يكن يدعو إلا إلى الأخذ بالثأر وإشعال نار الحرب(٤٣) ، ولعل ذلك ما جعل « ربيعة بن مقروم الضبى » يقول :

ومتى تقم عند اجتماع عشيرة
خطباؤنا بين العشيرة يفصل(٤٤)

ويقول « أبو زيد الطائى » :

وخطيب إذا تمعرت الأو
جه يوما فى مأقط مشهور(٤٥)

---

(٤٣) الفن ومذاهبه . د. شوقى ضيف ص ٢٩ ط دار المعارف - العاشرة .
(٤٤) الأغانى طبع الساسى ج ١٩ ص ٩٣ .
(٤٥) البيان والتبيين للجاحظ ج ١ ص ١٧٦ تحقيق هارون وجمهرة أشعار العرب ص ١٣٨ وما بعدها .

ويقول بشر بن أبى خازم :

وكنا إذا قلنا : هوازن أقبلى
إلى الرشد لم يأت السداد خطيبها(٤٦)

وهؤلاء خطباء العرب بين يدى « كسرى » والذين استقدمهم له « النعمان بن المنذر » حيث كان « كسرى » يحب مشاهدتهم لما سمع عنهم من البلاغة ، وروعة البيان ، ويقول صاحب « العقد الفريد » أن « النعمان بن المنذر » قدم على كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين ، فذكروا من ملوكهم بلادهم فافتخر النعمان بالعرب وفضلهم على جميع الأمم لا يستثنى فارس ولا غيرها ، فاغتاظ « كسرى » فانتفض العرب وهجن أمرهم وامتدح الروم والهند والصين(٤٧) ، فرد عليهم النعمان بعزة وأنفة وإباء وشمم وكان مما قاله لكسرى « وأما دينها وشريعتها — أى العرب — فإنهم متمسكون به ، حتى يبلغ أحدهم من تمسكه بدينه أن لهم أشهرا حرما ، وبلدا محرما ، وبيتا محجوجا ، ينسكون فيه مناسكهم ، ويذبحون فيه ذبائحهم ، فيلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه ، وهو قادر على أخذ ثأره ، وإدراك رغبته منه فيحجزه كرمه ، ويمنعه دينه عن تناوله بأذى »(٤٨) ، قال : فعجب كسرى لما أجابه النعمان به ، وقال : إنك لأهل لموضعك من الرياسة فى أهل إقليمك ولما هو أفضل ثم كساه من كسوته

---

(٤٦) المفضليات للضبى القصيدة ٩٦ .
(٤٧) العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٢ ص ٤ .
(٤٨) ذاته ص ٧ . قيل : الحارث ابن ظالم . وهو تحريف .

وسرحه إلى موضعه من الحيرة(٤٩) . فلما قدم النعمان الحيرة وفى نفسه ما فيها مما سمع من كسرى من تنقص العرب وتهجين أمرهم بعث إلى « أكثم بن صيفى ، وحاجب بن زرارة التميميين » وإلى « الحارث بن عباد وقيس بن مسعود » البكريين ، وإلى « خالد ابن جعفر وعلقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل » العامريين وإلى « عمرو بن الشريد السلمى وعمرو بن معد يكرب الزبيدى والحارث ابن ظالم المرى »(٥١) وخطب كل واحد من هؤلاء الخطباء بين يدى « كسرى » وكانوا يفدون على الأمراء من العرب وغيرهم فقد وفد « حسان بن ثابت » على « النعمان بن المنذر » بالحيرة وعلى « آل جفنة » بالبلقاء ، كما وفدوا على « سيف بن ذى يزن » فى اليمن بعد انتصاره على الأحباش للتهنئة بالنصر ، وكان من بين الخطباء « عبد المطلب » جد النبى ﷺ . وتردد فى كتاب « البيان والتبيين » للجاحظ وغيره من كتب الأدب أسماء طائفة كبيرة من خطباء الجاهلية الذين اشتهروا بالفصاحة ووضوح الدلالة والبيان عما فى أنفسهم مما جعل الأسماع والقلوب تهش إليهم ، ويعظم فى النفوس خطرهم ، ويشيع فى الآفاق ذكرهم ، وكانوا ينتشرون فى الجزيرة بمكة والمدينة وما وراءهما من قبائل البادية ، أما مكة فقد كانت بها « دار الندوة » وهى أشبه بمجلس شيوخ مصغر ، كان يجتمع فيها سادة العشائر

---

(٤٩) ذاته ص ٩ .

(٥٠) ذاته ص ٩ .

(٥١) الفن ومذاهبه . د. شوقى ضيف ص ٣٠ والسيرة النبوية طبعة الحلبى جـ ٢ ص ١٢٤ .

القرشية يتشاورون فى أمورهم وفى أثناء ذلك يخطبون ويتحاورون(٥٢) .

من خطبائهم المفوهين « عتبة بن ربيعة » وهو خطيب قريش يوم بدر ، ومن خطبائها « سهيل بن عمر والأعلم »(٥٣) أحد بنى حسل ابن معيص ، وكان يكنى « أبا زيد » وكان عظيم القدر شريف النفس ، صحيح الإسلام ، وكان عمر قال للنبى ﷺ يا رسول الله ، أنزع ثنيتيه السفليين حتى يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبا أبدا . فقال ﷺ : لا أمثل فيمثل الله بى ، وإن كنت نبيا ، دعه يا عمر فعسى أن يقوم مقاما تحمده »(٥٤) ولقريش أيضا خطباء كان ينفر إليهم العرب أمثال « هاشم وأمية »(٥٥) ونفيل بن عبد العزى ، جد عمر بن الخطاب وإليه نفر « عبد المطلب بن هاشم ، وحرب ابن أمية »(٥٦) ومن خطباء المدينة « قيس بن شماسى » و « ثابت بن قيس بن شماس » خطيب النبى ﷺ ، وروح بن زنباع وهو الذى لما هم به معاوية قال : « لا تشمتن بى عدوا أنت وقمته أى — أذللته وقهرته — ولا تسوء فى صديقا أنت سررته ولا تهدمن منى ركنا أنت بنيته ، هلا

---

(٥٢) الأعلم . المشقوق : الشفة العليا وقد كان كذلك والأشرم المشروم الأنف .

(٥٣) البيان والتبيين للجاحظ جـ ١ ص ٣١٧ .

(٥٤) الفن ومذاهبه فى النثر العربى د. شوقى ص ٣٠ وشرح القصائد لأبى عبيدة جـ ١ ص ٢٢٤ .

(٥٥) تاريخ الطبرى القسم الأول ص ١٠٩١ .

(٥٦) الاشتقاق لأبى بكر محمد بن الحسن بن دريد — ٢٢٣ — ٣٢١ تحقيق وشرح الشيخ عبد السلام محمد هارون — الناشر مكتبة الخانجى بمصر جـ ٢ ص ٤١٥ ترجمة رقم ٢٤٨ .

أتى حلمك وإحسانك على جهلى واساءتى » والأسود بن كعب بن غوث الذى تنبأ باليمن(٥٧) و « بشر بن عمرو بن محصن » وهو أبو عمرة الخطيب ، وسعد بن الربيع بن عمرو الأنصارى الخزرجى وهو الذى اعترضت ابنته « أم سعد بنت سعد » النبى ﷺ فقال لها : من أنت ؟ قالت : « ابنة الخطيب النقيب الشهيد (سعد بن الربيع)(٥٨) .

وإذا تركنا مكة والمدينة إلى القبائل المنبطحة فى البادية وجدنا ممن اشتهروا فيها بالخطابة « ابن عمار الطائى » خطيب مذحج كلها ، فبلغ النعمان حسن حديثه فحمله على منادمته ، وكان النعمان أحمر العينين ، أحمر الجلد ، أحمر الشعر ، وكان شديد العربدة قتالا للندماء ، فنهاه « أبو قردودة الطائى » عن منادمته ، فلما قتله رثاه ، فقال(٥٨) :

إنى نهيت ابن عمار وقلت له
لا تأمنن أحمر العينين والشعر
إن الملوك متى تنزل بساحتهم
تطر بنارك من نيرانهم شرره
يا جفنة كازاء الحوض قد هدموا
ومنطقا مثل وشى اليمنة الحبره

---

(٥٧) البيان والتبيين للجاحظ جـ ١ ص ٣٦٠ تحقيق هارون .
أم سعد بنت سعد : الاصابة ـ قسم النساء ص ١٢٨٧ واستشهد سعد بن الربيع فى وقعة أحد . الاصابة ص ٣١٤٧ .
(٥٨) القسم الأول ص ١٠٩١ .
(٥٩) البيان والتبيين جـ ١ ص ٣٤٩ .

و « هانىء بن قبيصة الشيبانى » خطيب شيبان يوم ذى قار(٦٠) و « زهير بن جندب » خطيب كلب وقضاعة »(٦١) . و « ربيعة بن حذار » خطيب بنى أسد(٦٢) وإليه احتكم الزبرقان بن بدر والمخبل السعدى وعبدة بن الطيب وعمرو بن الأهتم فى أيهم أشعر(٦٣) .

ومن الخطباء المشهورين فى القبائل أيضا « عامر بن الظرب »(٦٤) أحد حكام العرب فى الجاهلية ، ومن كانوا يقضون بينهم فى خصوماتهم(٦٥) وممن اشتهر باللسن والخطابة والشعر « لبيد ابن ربيعة العامرى » ومن قوله :

وأخلف قسما ليتنى ولو اننى
وأعيى على لقمان حكم التدبر(٦٦)

---

(٦٠) الفن ومذاهبه فى النثر العربى . د. شوقى ضيف ص ٣١ والأغانى ط الساسى جـ ٢٠ ص ١٣٧ .
(٦١) ذاته جـ ٢١ ص ٦٥ والفن ومذاهبه ص ٣١ .
(٦٢) ذاته والأغانى جـ ١٢ ص ٤٠ ، جـ ٢١ ص ١١٣ والفن ومذاهبه فى النثر العربى ص ٣١ .
(٦٤) الأغانى طبع دار الكتب جـ ٣ ص ٩٠ والسيرة لنبوية جـ ١ ص ١٢٩ والبيان والتبيين جـ ١ ص ٣٦٥ والفن ومذاهبه فى النثر العربى ص ٣١ .
(٦٥) الأغانى جـ ٣ ص ٩٠ والسيرة النبوية جـ ١ ص ١٢٨ والفن ومذاهبه ص ٣١ .
(٦٦) البيان والتبيين جـ ١ ص ١٨٩ تحقيق هارون .

ومن قوله أيضا :

وأبيض يجتاب الخروق على الوجى
خطيبا إذا التف المجامع فاصلا(٦٧)

ويقول الجاحظ ومن الخطباء البلغاء والحكام الرؤساء : أكثم بن صيفى ، وربيعة بن حدار ، وهرم بن قطبة ، وعامر بن الظرب ، ولبيد ابن ربيعة ، وكان من الشعراء »(٦٨) وهرم بن قطبة الفزارى هو صاحب المنافرة الشهيرة بين علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل ، ونظر إليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ملتفا فى بت فى ناحية المسجد ورأى دمامته وقلته ، وعرف تقديم العرب له فى الحكم والعلم ، فأحب أن يكشفه ويسبر ما عنده ، فقال : أرأيت لو تنافرا إليك اليوم أيهما كنت تنفر ؟

يعنى « علقمة بن علاثة ، وعامر بن الطفيل » فقال : يا أمير المؤمنين لو قلت فيهما كلمة لأعدتها جذعة ، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه « لهذا العقل تحاكمت العرب إليك »(٦٩) وهناك كثرة كاثرة من الخطباء المصاقع ذوى اللسن والفصاحة والقول ومنهم على سبيل المثال لا الحصر ، « كلثوم بن عمرو العتابى » ، « وهيذان بن شيخ » الذى قال فيه النبى ﷺ « رب خطيب من عبس »(٧٠) وأيوب بن القريه وهو الذى دخل على الحجاج فقال له : ما أعددت لهذا الموقف ؟ قال :

(٦٧) ذاته ص ٢٦٦ .
(٦٨) ذاته ص ٢٦٥ .
(٦٩) ذاته ص ٢٣٧ . البت . كساء غليظ مربع .
(٧٠) البيان والتبيين ج ١ ص ٢٧٣ .

ثلاثة حروف ، كأنهن ركب وقوف ، دنيا وآخرة ومعروف ، ثم قال له فى بعض القول : « أقلنى عثرتى ، وأسقانى ريقى ، فإنه لابد للجواد من كبوة ، وللسيف من نبوة ، وللحليم من هفوة » قال : كلا والله حتى أوردك نار جهنم . ألست القائل : بر ستقاباد : تغدوا الجدى قبل أن يتعشاكم ؟ وخرباد بن عمرو ، والعشراء بن جابر بن عقيل بن هلال ابن سمى بن مازن » من فزارة ، وخويلد خطيب يوم الفجار(٧٢) ، ومن أصحاب الأخبار والنسب والخطب وأهل البيان « الوضاح بن خيثمة » « وابن الكواء » وهو أيضا من أصحاب الأخبار النسب والخطب والحكم عند أصحاب النقولات(٧٣) ، والنفورة الحكومة ، وفى اللسان : ونافر الرجل منافرة ونفارا يعنى حاكمه واستعمل منه النفورة كالحكومة ، يقول الشاعر بن هرمة القرشى :

يبرقن فوق رواق أبيض ماجد
يدعى ليوم نفورة ومعاقل(٧٤)

وفى هذه الطبقة يقول الشاعر « مسكين بن أنيف الدارمى » :

كلانا شاعر من حى صدق
ولكن الرحى فوق الثفال
وحكم دغفلا وارحل إليه
ولا ترح المطى من الطلال

(٧١) ذاته ص ٣٥٠ .
(٧٢) ص ٣٥٠ وص ٣٥١ .
(٧٣) ذاته .
(٧٤) البيان والتبيين ج ١ ص ٣٥١ هامش رقم ٣ .

تعـال إلى بنى اكواء يقضـوا
بعلمهم بأنسـاب الرجـال
هلم إلى ابن مدعـور شـهاب
ينبى بالسـوافل والعـوالى
وعنـد الكيس النمـرى عـلم
ولو أضحى بمنخرق الشمال(٧٥)

ومنهم « كعب بن لؤى » وكان يخطب على العرب عامة ويحض كنانة على البر ، فلما مات أكبروا موته ، فلم تزل كنـانة تؤرخ بموت كعب بن لؤى إلى عام الفيل ، ومن الخطباء العلماء الأبيناء الذين جروا من الخطابة على أعراق قديمة « شعيب بن شيبة » وهو الذى يقول : « اطلب الأدب فإنه دليل على المروءة ، وزيادة فى العقل ، وصاحب فى الغربة ، وصلة فى المجلس »(٧٦) « وقيس بن خارجة بن سنان » وقد قالوا : « إنه خطب فى شأن حمالة(٧٧) داحس والغبراء يوما إلى الليل فما أعاد فيها كلمة ولا معنى »(٧٨) ومن الخطباء « حنظلة بن ضرار » خطيب بنى ضبة ، وقد أدرك الإسلام وطـال عمره حتى أدرك يوم الجمل ، وقيل له : ما بقى منك ؟ قال : أذكر القديم ، وأنسى الحديث ، وآرق بالليل ، وأنام وسط القوم »(٧٩) ومن خطباء بنى ضبة وعلمائهم

---

(٧٥) ذاتـه .
(٧٦) ذاتـه ص ٣٥٢ .
(٧٧) الحمالة ، كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم .
(٧٨) البيان والتبيين ج ١ ص ٦ ، ١١ وما بعدها .
(٧٩) ذاتـه ص ٣٤١ .

« مثجور بن غيلان بن خرشة » وكان مقدما فى المنطق ، وهو الذى كتب إلى الحجاج : « انهم قد عرضوا على الذهب والفضـة ، فما ترى أن آخذ ؟ قال : أرى أن تأخذ الذهب » فذهب عنه هاربا ، ثم قتله بعـد ، وذكره « القلاخ بن حزن المنقرى » فقال :

أمثـال مثجـور قليـل ومثـله
فتى الصدق إن صفقته كل مصفق
وما كنت أشريه بدنيـا عريضة
ولا بابن خال بين غرب ومشرق
إذا قال بذ القـائلين مقـاله
ويأخـذ من أكفائه بالمخنق(٨٠)

ومنهم أيضا « قطرى بن الفجاءة » وله خطبة طويلة مشـهورة وكانت له كنيتان احداهما فى السلم وهى « أبو محمد » والأخرى فى الحرب وهى « أبو نعامة » ومن الخطباء « ابن صديقة » وهو القاسم ابن عبد الرحمن بن صديقة ، وكان صـفريا وكان خطيبا ناسـبا ولم تشتهر قبيلة بالخطابة كما اشتهرت « إياد وتميم » ومن قبيلة « إياد » « قس بن ساعدة الإيادى » وهو الذى قال فيه النبى ﷺ : « رأيتـه بسوق عكاظ على جمل أحمـر وهو يقول : « أيهـا النـاس اجتمعوا واسمعوا واعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات وكل ماهر آت آت»(٨١) ومن خطباء تميم المفوهين « ضـمرة بن ضـمرة » وأكثم بن صـيفى التميمى ، وقيس بن عاصم ، وعطارد بن حاجب بن زرارة خطيب وفد

---

(٨٠) ذاتـه ص ٣٤١ .
(٨١) البيان والتبيين ج ١ ص ٣٤٣ .

تميم بين يدى الرسول عليه السلام ، وعمرو بن الأهتم المنقرى ولم يكن فى بادية العرب فى زمانه أخطب منه(٨٢) وما من ريب فى أن هذه الكثرة من الخطباء وراءهم عدد كثير يدل دلالة حساسة على إزدهار الخطابة الجاهلية ورقيها وسنتناول ذلك إن شاء الله بشىء من التفصيل . لدى الكلام عن أشهر خطباء العصر الجاهلى .

---

(٨٢) ذاته ص ٣٠٩ .

(٨٣) ذاته ص ٣٥٥ .

* الصدرية : طائفة من الخوارج وهم أصحاب زيادة بن الأصفر

اشهر خطباء الجاهلية

أومأنا آنفا أنه كان لكل قبيلة شاعر أو أكثر هو لسان حالها ووترها الحساس ، والمتحدث الرسمى بإسمها ، ينافح عن الأعراض ويذود عن الأحساب ، ويدافع عن الأنساب ، ويسجل مفاخرها ومجودها ، ويشيد بانتصاراتها ، شأنهم يومذاك شأن الصحف الحزبية فى عصرنا الحاضر . كذلك كان لكل قبيلة خطيب أو أكثر من خطيب ، وأشهر خطباء العصر الجاهلى : « قس بن ساعدة الإيادى » وقد رآه النبى ﷺ فى سوق عكاظ يخطب على جمل أحمر وهو يقول : « أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا . من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت » ويقول فيها أيضا : آيات محكمات ، مطر ونبات ، وآباء وأمهات ، وذاهب وآت ، ضوء وظلام وبر وآثام ، ولباس ومركب ، ومطعم ومشرب ، ونجوم تمور وبحور تفور ، وسقف مرفوع ، ومهاد موضوع ، وليل داج وسماء ذات أبراج ، ما لى أرى الناس يموتون ولا يرجعون ، أرضوا فأقاموا ، أم حبسوا فناموا »(١) وهو القائل(٢) : « يا معشر إياد أين ثمود وعاد ، وأين الآباء والأجداد ، أين المعروف الذى لم يشكر والظلم الذى لم ينكر ، أقسم قسى قسما بالله ، إن الله لدينا هو أرضى له من دينكم هذا » وأنشدوا له :

فى الذاهبين الأولين ... من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا ... للموت ليس لها مصادر

---

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ تحقيق هارون .

(٢) ذاته ص ٣٠٩ .

ورأيت قومى نحـــوها يمضى الأصاغر والأكابر
لا يرجع المـــاضى ولا يبقى من البـاقين غـابر
أيقنت أنى لا محـــا لة حيث صار القوم صائر(٣)

ومنهم « سحبان وائل الباهلى » مضرب المثل فى الفصاحة وقوة البيان ، وهو خطيب العرب ، ومنهم جماعة من « حميره » مثل « دريد ابن زيد » و « زهير بن جناب الكلبى » وهو شاعر أيضا من قضاعة ، ومن مشاهير أمراء العرب ، وتولى الإمارة « بكر وتغلب » وكف بصره فى أخريات أيامه ، ويقال : أنه صاحب البيت الشهير :

إذا قالت حـذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام(٤)

ومنهم « مرثد الخير » و « الحارث بن كعب المذحجى » و « قيس ابن زهير العبسى » و « ذى الأصبع العدوانى » و « أكثم بن صيفى التميمى » واشتهرت « تميم وإياد بالخطبـاء المصـاقع ذوى الألسن والقول • يقول الجاحظ : « وإياد وتميم فى الخطب خصلة ليست لأحد من العرب ، لأن رسول الله ﷺ هو الذى روى كلام « قس بن ساعدة » وموقفه على جمله بعكاظ وموعظته وهو الذى رواه لقريش والعرب ، وهو الذى عجب من حسنه وأظهر من تصويبه ، وهـذا إسناد تعجز عنه الأمانى ، وتنقطع دونه الآمال ، وإنمـا وفق الله ذلك الكلام لقس بن ساعدة لاحتجاجه للتوحيد ، ولاظهاره معنى الاخلاص وإيمانه

---

(٣) ذاتـه .
(٤) الأغانى جـ ٣ ص ١٧ والشعراء لابن قتيبة الدينورى ص ٢٢٣ ومجمع الأمثال للميدانى .

بالبحث ، ولذلك كان خطيب العرب قاطبة »(٥) .

كما أنهم كانوا مضرب المثل فيشبهون غيرهم بهم فى الفصاحة والإجادة ، فقـد ذكر الشاعر « زيد بن جنـدب الإيادى » الخطيب الأزرقى فى مرثيته لأبى دواد بن حـريز الإيادى حيث ذكره بالخطابة وضرب المثل بخطباء إياد • فقال :

كقس إياد أو لقيط بن معبد وعذرة والمنطيق زيد بن جندب(٦)

فلم يضرب هـذا الشاعر الإيادى المثل لهـذا الخطيب الإيادى إلا برجل من خطباء « إياد » وهو « قس بن سـاعدة » ، ولم يضرب صاحب مرثية أبى داود بن حريز الإيادى المثل إلا بخطباء إياد فقط ، ولم يفتقر إلى غيرهم حيث قال فى « عذرة بن حجيرة » كقس إياد أو لقيط ابن معبد » ، وعذرة والمنطيق زيد بن جندب(٧) ومنهم « كلثوم بن عمرو العتابى » ومن أهل الدهاء والنكراء ومن أهل اللسن واللن والجواب العجيب ، والكلام الفصـيح : « هنـد بنت الخس » وهى الزرقاء ، و « جمعة بنت حابس » ويقال إن حابسا من إياد(٨) • ودليل فصاحتها أن « عامر بن عبد الله الفزارى » قال « جمع بين هند وجمعة ، فقيل لجمعة • أى الرجال أحب إليك ؟ فقالت : الشنق الكد ، الناهر الجلد ، الشديد الجذب بالمسد وقيل لهند : أى الرجال أحب إليك ؟ قالت : القريب

---

(٥) البيان والتبيين جـ ١ ص ٥٢ .
(٦) ذاتـه ص ٤٢ .
(٧) ذاتـه ص ٤٣ .
(٨) ذاتـه ص ٣٩٢ .

الأمد ، الواسع البلد ، الذى يوفد إليه ولا يفد »(٩) . ومنهم أيضا « أبو سيارة العدوانى » و « الحارث بن ذبيان اليمانى » و « نعيم بن ثعلبة الكنانى » و « الأوسى بن حارثة » و « أبو اطماء القينى » و « الربيع بن ضبع الفزارى » و « قيس بن عاصم المنقرى »(١٠) .

خطباء القبائل :

أومأنا آنفا أن لكل قبيلة شاعرها المتحدث رسميا بلسانها وكذلك كان لكل قبيلة خطيب أو أكثر من خطيب ، ومن الخطباء الذين اشتهروا بالخطابة فى القبائل : « عامر بن الظرب » فى عدوان(١١) . و « ربيعة ابن حذار » فى أسد(١٢) و « حنظلة بن ضرار » فى ضبة(١٣) ، وقد امتد به الأجل حتى أدرك يوم الجمل(١٤) و « كثوم بن عمرو العتابى »(١٥) فى ثعلب ، و « هانىء بن قبيصة » فى شيبان ، وهو خطيب يوم ذى قار(١٦) . وهو من أيام العرب الشهيرة و « زهير

---

(٩) ذاته ص ٣٦٥ .

(١٠) ذاته ص ٣٦٥ والأغانى ج ٣ ص ٩٠ والسيرة النبوية ج ١ والمعمرين ص ٤٤ والفن ومذاهبه ص ٣١ .

(١١) المرجع السابق .

(١٢) المرجع السابق .

(١٣) الأغانى ج ١٠ ص ٦١ ط الساسى والبيان والتبيين ج ١ ص ٣٦٥ .

(١٤) ذاته ص ٣٤١ .

(١٥) البيان والتبيين ج ٢ ص ١٤١ .

(١٦) الأغانى ج ٢٠ ص ١٣٧ طبع الساسى .

ابن جناب » فى كلب وقضاعة(١٧) « وابن عمار » فى طىء وهو خطيب مدحج كلها(١٨) « ولبيد بن ربيعة العامرى » ومن قوله :

وأخاف قسا ليتنى ولو أننى
وأعى على لقمان حكم التدبر(١٩)

«وهيذان بن شيخ » الذى قال فيه الرسول ﷺ « رب خطيب من عبس »(٢٠) ، « وخوياد بن عمرو » والعشراء بن جابر »(٢١) ، وهما من غطفان « وقيس بن خارجة بن سنان » وهو من غطفان أيضا ، ويروى أنه خطب فى حرب داحس والغبراء يوما إلى الليل(٢٢) ، و « هرم بن قطبة الفزارى » والذى احتكم إليه « علقمة بن علاثة » ، و « عامر بن الطفيل » وقال لهما : « أنتما كركبتى البعير الأدرم تقعان على الأرض معا »(٢٣) .

ومن خطباء تميم « أكثم بن صيفى » و « ضمرة بن ضمرة »

---

(١٧) ذاته ج ٢١ ص ٦٥ ، والفن ومذاهبه فى النثر العربى ص ١٣١ . دار المعارف بالقاهرة .

(١٨) البيان والتبيين ص ٣٤٩ .

(١٩) ذاته ج ١ ص ١٨٩ .

(٢٠) ذاته ص ٢٧٣ .

(٢١) ذاته ص ٣٥٠ ، ٣٥١ .

(٢٢) ذاته ص ١١٦ .

(٢٣) ذاته ص ٣٦٥ .

ويروى أنه لما دخل على النعمان بن المنذر ، زرى عليه للذى رأى من دمامته وقصره وقلته ، فقال النعمان « تسمع بالمعيدى لا أن تراه » فقال : أبيت اللعن ! أن الرجال لا تكال بالقفزان * ، ولا توزن بالميزان وليست بمسوك يستقى بها ، وإنما المرأ بأصغريه : بقلبه ولسانه إن صال صال بجنان ، وإن قال ببيان(٢٤) ومنهم خ عطارد بن حاجب ابن زرارة » وهو خطيب وفدها بين يدى رسول الله ﷺ ، ومنهم « عمرو بن الأهتم » المنقرى ، ولم يكن فى بادية العرب فى زمنه أخطب منه ، ويروى أن رسول الله ﷺ سأله عن « الزبرقان بن بدر » فقال : « مانع لحوزته ، مطاع فى أدنيه » فقال الزبرقان بن بدر : « إما إنه قد علم أكثر مما قال ، ولكنه حسدنى شرفى » فقال عمر : أما ائن قال ما قال ، فوالله ما علمته إلا ضيق الصدر ، زمر المروءة ، لئيم الخال ، حديث الغنى ، فلما رأى أنه قد خالف قوله الآخر قوله الأول ، ورأى الإنكار فى عينى رسول الله ﷺ قال : يا رسول الله : رضيت فقلت أحسن ما علمت وغضبت فقلت أقبح ما علمت ، وما كذبت فى الأولى ، ولقد صدقت فى الآخرة ، فقال ﷺ : « إن من البيان لسحرا »(٢٥) فهاتان الخصلتان خصت بهما إياد وتميم عند ذلك إذا دون جميع القبائل .

ومن خطباء تميم أيضا « قيس بن عاصم » والذى قال فيه

(*) القفزان جمع « قفيز » وهو مكيال عراقى . المسوك جمع مسك وهو الجلد .

(٢٤) ذاته ص ١٧١ .

(٢٥) ذاته ص ٥٣ . زمر المروءة . قليلها .

رسول الله ﷺ حينما رآه : « هذا سيد أهل الوبر »(٢٦) وهو الذى رثاه الشاعر « عبدة بن الطبيب » حين مات بقوله :

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما(٢٧)

ومن خطباء قبيلة إياد « قس بن ساعدة » وهو الذى يقول فيه أديب العربية الكبير « الجاحظ » : « ولإياد خصلة ليست لأحد من العرب ، لأن رسول الله ﷺ هو الذى روى كلام « قس بن ساعدة » ووقفه على جمله بسبق عكاظ وموعظته ، وهو الذى رواه قريش والعرب ، وهو الذى عجب من حسنه ، وأظهر من تصويبه ، وهذا إسناد تعجز عنه الأمانى ، وتنقطع دونه الآمال(٢٨) . بيد أن « ابن حجر » يتهم ذلك الإسناد ، وبخاصة بعد توسع الرواة فى خطبة « قس ابن ساعدة الإيادى » وتحميلهم لها إشارات بقرب مبعث الرسول ﷺ ، ومما لا ريب فيه أن لها أصلا صحيحا تزيد فيه الرواة(٢٩) .

ونحن إلى هذا الرأى نميل ، فإن تزيد الرواة فى الخطبة أو تحميلهم لها بعض الإشارات الدالة على قرب مبعثه عليه السلام لا يؤدى إلى إنكارها البتة ، والعكس هو الصواب فإن تزيد الرواة وتحميلهم لها بعض الإشارات دليل على أن لها أصلا ووجودا .

---

(٢٦) ذاته ج ٢ ص ٣٣ .

(٢٧) المفضليات للضبى ص .

(٢٨) البيان والتبيين للجاحظ ج ١ ص ٥٢ .

(٢٩) السيرة الحلبية ج ١ ص ٢١ ، والعصر الجاهلى للدكتور شوقى ضيف ص ٤١٥ ط دار المعارف القاهرية .

بعد هذا البيان يتضح لنا أن الخطباء فى العصر الجاهلى كثرة كاثرة وعدد لا يحصى ، وأنهم عرفوا بالبلاغة ، واشتهروا بنصاعة البيان ، وأنهم كانوا لسنا مقاويل ، يملكون أزمة القلوب ، ويسحرون الألباب ويستولون من القلوب على الشغاف ، ذلك بما لهم من بيان ساحر وأسلوب رائع ، ولفظ جزل متين ، وقلما ترى سيدا من ساداتهم لم نجمه ، وسطع ضوئه ، وتبوأ مكانة مرموقة سامقة إلا وكانت الخطابة صفة من صفاته ، وسجية من سجاياه ، ومعلما من معالم شخصيته وكل شىء يومىء بل ويؤكد أن منزلة الخطباء كانت لديهم أرفع قدرا ، وأسمى مكانة من أقدار ومكانة الشعراء ، فالخطابة صنو المجد ، وقرين السؤدد والشرف والرياسة . يقول أبو عمرو بن العلاء : « كان الشاعر فى الجاهلية يقدم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشعر الذى يقيد عليهم مآثرهم ، ويفخم شأنهم ، ويهول على عدوهم ومن غزاهم ، ويهيب من فرسانهم ، ويخوف من كثرة عددهم ، ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم ، فلما كثر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا إلى السوقة ، وتسرعوا إلى أعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر »(٣٠) وهذا الذى دفع الجاحظ لأن يقول مؤيدا ومؤكدا هذه المقولة : « كان الشاعر أرفع قدرا من الخطيب وهم إليه أحوج لرده مآثرهم عليهم وتذكيرهم بأيامهم فلما كثر الشعراء ، وكثر الشعر ، صار الخطيب أعظم قدرا من الشاعر(٣١) والسر فى ذلك يرجع إلى أن الشاعر هو الذى يهيج النفوس ويستثير الحفائظ ، ويوقظ ما بينهم من

---

(٣٠) البيان والتبيين جـ ١ ص ٢٤١ .

(٣١) ذاته جـ ٤ ص ٨٣ .

عداوات ، ويحيى ما مات من خصومات وعادات قديمة ، ومشاحنات ، فيهبون لإيقاد نار الحرب وإشعال جذوتها فتسكت الألسنة ، وتنطق الأسنة ، وتنهض الأسياف لتخطب فوق أعناق الرجال ، وبخاصة أن الشعر يخاطب المشاعر ويداعب الأحاسيس . أما الخطباء فكانوا فى الأغلب الأعم دعاة سلم يناشدون القبائل المتناحرة السلام ، ويدعونهم إلى الوئام ناصحين ومرشدين ، والشاعر يهجو الناس بأقذع ألوان الهجاء محاولا إظهار المثالب والمعايب ، متعصبا لقومه وقبيلته مفتخرا بما لهم من مجود وعزة وأنفة ، داعيا إلى الانتقام والثأر نجد ذلك شائعا فى أشعارهم وبخاصة شعر الحماسة ، ذلك اللون الذى يسجل الخلال آنفه الذكر ، بالإضافة إلى الفخر بشجاعة قومه ، وأنهم يطيرون إلى الثأر زرافات ووحدانا ، وأن من لا يظلم الناس يظلم ، والذى لا يذود عن حوضه بسلاحه يهدم ، ويفخر أيضا بأنه جندل خصمه ، وصرع عدوه وأنه فتك به ومزق أشلاءه وتركه نهبا للغربان ، وفريسة سهلة للوحوش الكواسر ، إلى غير ذلك مما سجله شعرهم وبخاصة الشعر الحماسى ، ونورد هذه الأبيات على سبيل المثال لا الحصر فإن ذلك مما يضيق به المقام .

يقول « زهير بن أبى سلمى المزنى » :

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه
يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم(٣٢)

---

(٣٢) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنبارى ص ٢٨٥ ط دار المعارف تحقيق هارون .

وهذا جيش متى تكن له ترة فى
قوم طلبها ، وإن لم تكن له ترة وتر
جرىء متى يظلم يعاقب بظلمه
سريعا وألا يبد بالظلم يظلم(٣٣)

وها هو ذا « عنترة العبسى » يفخر بشجاعته ، فيقول :

لما رأيت القوم أقبل جمعهم
يتذامرون كررت غير مذمم
يدعون عنتر والرماح كأنها
أشطان بئر فى لبان الأدهم
ما زلت أرميهم بغرة وجهه
ولبانه حتى تسربل بالدم
ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها
قيل الفوارس ويك عنتر أقدم
وأزور من وقع القنا بلبانه
وشكا إلى بعبرة وتحمحم
لو كان يدرى ما المحاورة اشتكى
أو كان لو علم الكلام مكلمى(٣٤)

ومثل قول الشاعر « عامر بن الطفيل العامرى » وكان فارس « قيس » وسيدهم :

(٣٣) ذاته ص ٢٧٩ .
(٣٤) ذاته ص ٣٥٨ ـ ٣٦١ .

وما الأرض إلا قيس عيلان أهلها
لهم ساحتاها سهلها وحزومها
وقد نال آفاق السموات مجدنا
لنا الصحو من آفاقها وغيومها

وكقول « زهير بن جناب الكلبى » فى الحماسة :

أبى قومنا أن يقبلوا الحق فانتهوا
إليه وأنياب من الحرب تخرق
فجاءوا إلى رجراجة مستميزة
يكاد المرنى نحوها الطرف يصعق
دروع وأرماح بأيدى أعزة
وموضونة مما أفاد محرق
وخيل جعلناها دخيل كرامة
عقارا ليوم الحرب تحض وتفيق
فما برحوا حتى تركنا رئيسهم
يعفر فيه المضرجى المذلق(٣٥)

(٣٥) الرجراجة . الجماعة الكثيفة . مستميزة . متميزة من الغيظ . الموضونة الدروع . محرق . لقب غير ملك من ملوك المناذرة ، حيث انه كان يحرق الاسرى فى بعض الحروب ، وتلك عادتهم . تفيق . تشد عليها السروج المضرجى . القفر العظيم . المذلق . المحدد نابه

أسلوب الخطـــابة الجـــاهلية :

من الصفات التى تميز عرب الجاهلية أنهم كانوا يحبون البيـان والطلاقة ، والتحبير والبلاغة ، ودفعهم ذلك إلى الاحتفـال بخطابتهم احتفالا شديدا ، لا من حيث الصقل وتجديد الألفاظ فحسب بل أيضا من حيث مخارج الكلم ، ولعلهم من أجل ذلك كانوا يتريدون فى جهارة الصوت ، كما كانوا ينتحلون سعة الأشداق وهدل الشفاه(١) ، وكان خطباء الجاهلية ينتقون الألفاظ ويتخيرون المعـانى ، فجاءت ألفاظهم غاية فى الرقه والعذوبة ، والمعانى رائعة مألوفة وكانت خطبهم معروفة بالطول والقصر ، بيـد أنهم كانوا يفضلون الخطب القصيرة لسـهولة حفظها ، واستيعاب معانيها ، وكانوا يتناقلونها ويروونها كالشعر ، كانت الخطب لها اسماء خاصة لديهم فهى « العجوز » وهى خطبة لآل رقية ، ومتى تكلموا فلابد لهم منها أو من بعضها ، و « العذراء » وهى خطبة قيس بن خارجة لأنه كان أبا عذرها(٢) ، و « الشوهاء » وهى خطبة سحبان وائل ، وقيل لها ذلك من حسنها ، وذلك أنه خطب بها عند معاوية فلم ينشد شـاعر ، ولم يخطب خطيب(٣) • ولعـل تفضيلهم للخطب القصيرة فوق سهولة الحفظ واستيعاب المعنى رغبتهم فى تجنب ترديد الكلام وتكراره لأن ذلك يورث المـلل وانصراف السامعين عن الإصغاء ،

---

(١) البيـان والتبيـين ج ١ ص ١٣ وما بعـدها ، والفن ومذاهبه ص ٣٣ •

(٢) أبا عذرها • أى اول من افتضها ، وهو مجاز •

(٣) البيان والتبيين ج ١ ص ٣٤٨ وبلوغ الأدب للألوسى ج ٢ ص ١٥١ وما بعدها الطبعة الثانية ـ المكتبة الأهلية بمصر •

ولذلك نرى الجاحظ يشترط فى الخطيب الناجح ألا يردد كلامه فيقول : « ولا يردد الخطيب الكلام ، وجعل ابن السماك يوما يتكلم وجارية له تسمع كلامه ، فلما انصرف إليها قال لها : كيف سمعت كلامى ؟ قالت : ما أحسنه ، لولا أنك تكثر ترداده ، قال : أردده حتى يفهمه من لم يفهمه ، قالت : إلى أن يفهمه من لا يفهمه قد مله من فهمه(٤) •

وعن عباد بن العوام عن شعبة عن قتادة قال : مكتوب فى التوراة : « لا يعاد الحديث مرتين » وعن سفيان بن عيينـة عن الزهرى قال : « إعادة الحديث أشد من نقل الصخر »(٥) وقال بعض الحكماء : « من لم ينشط لحديثك فارفع عنـه مؤونة الاستماع منك »(٦) • وقريب من قول جارية بن السماك قول ابى تمام لسائل سأله قائلا : لم تقول من لا يفهم ؟ فقال أبو تمام : ولم لا تفهم ما يقال ؟ إذن فليس العيب لدى الخطيب أو الشـاعر إذا لم يفهمه السـامع • وليس مطربا من أحدهما النزول بالألفاظ العربية ، والأساليب العربيـة إلى المستوى الذى يذرى بها ، ويذهب بهاءها ، ويقضى على رونقهـا وجمالها ، بل المطلوب من السامع أن يرى بنفسه ، وان يشذب عقله ويهذب روحه ، وذلك بالمداومة على القراءة المتـأنية الواعيـة والتمرس بالأسـاليب العربيـة القوية حتى يمكنه فهم ما يسمع ، ووعى ما يقـرأ ، ويقول « عبد الله بن مسعود » رضى الله عنه يحذر من ترداد الكلام خشـية المـلل فى غير فائدة : « حدث الناس ما حدجوك بأبصارهم وأذنوا لك

---

(٤) ذاتـه ص ١٠٤ •

(٥) ذاتـه •

(٦) ذاتـه ص ١٠٥ •

بأسماعهم ، ولحظوك بأبصارهم ، وإذا رأيت منهم فترة فأمسك(٧) .

وقيل لعبد الملك بن مروان : « عجل إليك الشيب يا أمير المؤمنين قال : وكيف لا يعجل على وأنا أعرض عقلى على الناس فى كل جمعة مرة أو مرتين »(٨) يعنى خطبة الجمعة ، وبعض ما يعرض من الأمور .

فاذا حظيت على الرجال فلا تكن
خطل الكلام تقوله محتالا
وعلم بأن من السكوت ابانه
ومن التكلم ما يكون خبالا

ومن أمارات الخطيب الناجح أن يكون جهير الصوت ، فقد كانوا يمدحون جهير الصوت ، ويذمون الضئيل الصوت ، ولذلك تشادقوا فى الكلام ، ومدحوا سعة الفم ، وذموا صغر الفم(٩) ويمدحون أيضا فى الخطيب ثبات الجنان ، وحضور البديهة ، وقلة التلفت ، وكثرة الريق ، وجهارة الصوت وقوته ، ويعيبون فيه التنحنح ، والارتعاش والحصر والتعثر فى الكلام . يقول « النمر بن تولب » :

أعذنى رب من حصر وعى ومن نفس أعالجها علاجا

ويقول الشاعر « أبو العيال » :

ولا حصر بخطبته إذا ما عزت الخطب

---

(٧) ذاته ص ١٠٤ .
(٨) ذاته ص ١٠٥ .
(٩) ذاته ص ١٢٠ ، ١٢١ .

وذموا فى الخطباء أيضا : اكثار الخطيب من مسه لذقنه وشواربه ولحيته . يقول « معن بن أوس المزنى » هاجيا :

ألا من مبلغ عنى رسولا
عبيد الله إذ عجل الرسالا
تعاقل دوننا أبناء ثور
ونحن الأكثرون حصى ومالا
إذا اجتمع القبائل جئت ردفا
وراء الماسحين لك السبالا
فلا تعطى عصا الخطباء فيهم
وقد تكفى المقادة والمقالا
فإنكم وترك بنى أبيكم
وأسرتكم تجرون الحبالا
وودكم العدى ممن سواكم
لكالحيران يتبع الضلالا(١٠)

فمعن بن أوس المزنى يهجوه بأنه ليس رئيسا ولا خطيبا .

والبيان والتبيين للجاحظ حافل بملاحظات قيدت لدى سماع هذه الخطب فيروى أن الجمحى خطب خطبة أصاب فيها معانى الكلام ،

---

(١٠) ذاته ص ٣٧٢ ، ٣٧٣ : السبال جمع سبلة وهو مقدم اللحية . ومسح اللحية كناية عن التهدد والتوعد ، أو هو تأهب للكلام : الخزانة ج ١ ص ٥٢٥ وذلك فى تفسير «السبال» فى قول الشاعر « الشماخ » :
اتتنى سليم قصها بقضيضها تمسح حولى بالبقيع سبالها

وكان فى كلامه صفير يخرج من موضع ثناياه المنزوعة(١١) فأجابه زيد بن على بن الحسين بكلام فى جودة كلامه إلا أنه فضله بحسن المخرج وسلامة من الصفير • ويروى أن واصل بن عطاء كان ألثغ فاحش اللثغة ، فرام إسقاط الراء من كلامه ، فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه حتى انتظم له ما حاول واتسق له ما أمل(١٢) •

ويروى عن أبى شمر أنه « كان إذا نازع لم يحرك يديه ولا منكبيه ولم يقلب عينه ولم يحرك رأسه حتى كأن كلامه يخرج من صدع صخرة »(١٣) • ويروى عن آخر أنه كان يتنحنح ويتلجلج ويمسح لحيته ويقول عند مقاطع كلامه : « يا هناه ! ويا هذا أو اسمع منى ! واستمع إلى ! وافهم عنى ••• »(١٤) • وهكذا وصلوا شيئا فشيئا إلى أن وضعوا المعانى والألفاظ وهيئة الخطيب من القواعد ما نجده متفرقا فى « البيان والتبيين » للجاحظ •

وكان خطباء الجاهلية يستخدمون الأسجاع لدى المنافرة أو المفاخرة بينما كانوا يصدعون بالمنثور المرسل فى خطب الصلح ، وسل السخائم وادى المعاهدة والمعاقدة ، وكأنهم عرفوا فى الجاهلية لونين من الخطابة لونا مسجوعا ، ولونا مرسلا ، وكانوا يستخدمون ما يثير

---

(١١) البيان والتبيين للجاحظ جـ ١ ص ٣٤ •
(١٢) ذاته ص ٨ •
(١٣) ذاته ص ٥١ •
(١٤) ذاته ص ٢٦ ، ٦٢ ، ٦٣ •

السامعين من كلام بليغ حتى يؤثروا فيهم ، ويبلغوا ما يريدون من استمالتهم(١٥) •

وفى ذلك يقول الجاحظ : « لم نرهم يستعملون مثل تدبيرهم فى طوال القصائد فى صنعة طوال الخطب ، بل كان الكلام البائت عندهم كالمقتضب اقتدار عليه وثقة بحسن عادة الله عندهم فيه ، وكانوا مع ذلك إذا احتاجوا إلى الرأى فى معاظم التدبير ، ومهمات الأمور ، ميثوه فى صدورهم ، وقيدوه على أنفسهم فإذا قومه الثقاف وأدخل الكير وقام على الخلاص أبرزوه محككا منقحا ، ومصفى من الأدناس مهذبا »(١٦) • والحقيقة أن خطباء الجاهلية كانوا يعنون بخطبهم ، وذلك بتجويد الكلام بما يصوغونه من أسجاع ، وتارة أخرى بما يخرجونه فيه من ألوان البيان ، وأشد ما تكون عنايتهم ببهاء اللفظ وقوته ، وحسنه ورونقه ولذلك أطلقوا مثلا على الخطباء فهم يقولون فلان يفل المجز ، ويصيب المفصل ، وذلك إذا أصاب عين المعنى بالكلام الموجز وأخذوا ذلك من صفة الجزار الحاذق ، فجعلوه مثلا للمصيب الموجز • ومثل قولهم : « كان والله يضع الهناء مواضع النقب » • وهم يظنون أنه نقل قول « دريد بن الصمة « فى الخنساء بنت عمرو بن الشريد إلى ذلك الموضع ، وكان الشاعر « دريد » قال فيها :

ما أن رأيت ولا سمعت به ... فى الناس طالى أينق جرب(١٧)
متبذلا تبدو محاسنه ... يضع الهناء مواضع النقب

---

(١٥) العصر الجاهلى د/ شوقى ضيف ص ٤١٨ بتصرف ط دار المعارف القاهرية •
(١٦) البيان والتبيين جـ ٢ ص ١٤ • ميثوه • ذللوه •
(١٧) ذاته جـ ١ ص ١٠٧ •

كما وصف الجاهليون خطباءهم بأنهم : مصاقع ، ولسن ، وفخروا بذلك فى أشعارهم ، ومن ذلك قول « قيس بن عاصم المنقرى » يصف بنى « منقر » بالخطابة والفصاحة ، فيقول :

إنى إمرؤ لا يعترى خلقى
دنس يفنده ولا أفن
من منقر فى بيت مكرمة
والأصل ينبت حوله الغصن
خطباء حين يقوم قائلهم
بيض الوجوه مصاقع لسن
لا يفطنون لعيب جارهم
وخصم لحفظ جوارهم فطن(١٨)

بعد هذه الجولة فى مضمار الخطابة الجاهلية اتضح لنا أن أسلوب الخطابة لديهم جاء على ضربين :

الضرب الأول :

أسلوب مسجوع ، ونرى ذلك الأسلوب سائدا فى خطب المنافرات والمفاخرات ، مثل مفاخرة « عبد المطلب بن هاشم » و « حرب بن أمية »(١٩) وهى مسجوعة ، ومثل منافرة « جرير بن عبد الله البجلى »

---

(١٨) ذاته ص ٢١٩ .
الهناء . القطران . النقب : أول ما يظهر من الجرب فى الابل .
الافن . ضعف الرأى والعقل . يفنده : فند كلامه وضعف رأيه .
(١٩) الطبرى ـ القسم الأول ص ١٠٩١ .

و « خالد بن أرطاة الكلبى »(٢٠) وجاءت أيضا مسجوعة ومثلهما منافرة « علقمة بن علاثة » و « عامر بن الطفيل »(٢١) وكل هذه المنافرات مبنية على السجع . يقول الجاحظ : « إن ضمرة بن ضمرة » و « هرم ابن قطبة » و « الأقرع بن حابس » و « نفيل بن عبد العزى » كانوا يحكمون وينفرون بالأسجاع وكذلك « ربيعة بن حذار » وقد كانت الخطباء تتكلم عند الخلفاء الراشدين فيكون فى تلك الخطب أسجاع كثيرة فلا ينهونهم(٢٢) .

الضرب الثانى :

الأسلوب المرسل . أومأنا آنفا إلى أن الخطباء الجاهليين كانوا يستخدمون الأسلوب المسجوع فى خطب المفاخرات والمنافرات ، بيد أنهم كانوا أيضا يستخدمون « الأسلوب المرسل » فى غرض آخر مثل الخطب التى تلقى فى الدعوة إلى السلام وإصلاح ذات البين ، واستلال السخائم ولدى المعاهدات ، وفى مثل هذه المواقف كان الخطباء يعمدون إلى استمالة السامعين والإستيلاء على أفئدتهم وألبابهم بما يثيرونه فى نفوسهم من معانى الخير وفوائد السلام بكلام بليغ يسحر الأنفس ، ويستولى على المشاعر ، ويملك أزمة الاحساس ، وبذلك يتحقق للخطيب ما يصبوا إليه من استمالتهم واقناعهم بما يريده . يقول الجاحظ : « وكانوا إذا احتاجوا إلى الرأى ميثوه فى صدورهم ، وقيدوه على أنفسهم ، فإذا قومه الثقاف وأدخل الكير ، وقام على

---

(٢٠) النقائض جـ ١ ص ١٤١ .
(٢١) الأغانى جـ ١٥ ص ٥١ .
(٢٢) البيان والتبيين جـ ١ ص ٢٩٠ .

الخلاص أبرزه محككا منقحا ومصفى من الأدناس مهذبا »(٢٣) ومن يقرأ الفقر القصار والمحاورات المختصرة التى بقيت من تراثهم ، تلك التى يرويها الجاحظ ـ يشعر حقا أنهم كانوا يبتغون التجويد فى كلامهم تارة بما يصوغونه فيه من سجع ، وتارة أخرى بما يخرجونه فيه من استعارات وأخيلة ودائما يعنون ببهاء اللفظ وقوته ونصاعته كما يعنون بوضوح الحجة ، وتصور أشعارهم جوانب من ذلك ، كقول « لبيد » « لهرم بن قطبة » حين احتكم إليه « عامر بن الطفيل » و « علقمة بن علاثة »(٢٤) .

إنك قد أوتيت حكما معجبا فطبق المفصل واغنم طيبا

كما أنهم وصفوا اللسان ، بل وحذرت العرب من وطأته ، وقساوته وشدته ، وأن جرحه كجرح اليد .

يقول الشاعر :

● وجرح اللسان كجرح اليد(٢٥) ●

وقال آخر :

يموت الفتى من عثرة بلسانه
وليس يموت الرجل من عثرة الرجل(٢٦)

---

(٢٣) ذاته جـ ٢ ص ١٤ .
(٢٥) نقد النثر لقدامة بن جعفر ص ١٣ .
(٢٦) ذاته .

وقال :

فعثرته من فيه ترمى برأسه
وعثرته بالرجل تبرأ على مهل(٢٧)

وقالوا : « عثرة اللسان لا تستقال »(٢٨) .

كما شبهوه بالمفراص ، وهى حديدة يفرص بها(٢٩) .

قال الأعشى :

وادفع عن أعراضكم وأعيركم
لسنا كمفراص الخفاجى ملحبا(٣٠)

وفرصت النعل أفرصها فرصا ، إذا أشققت فيها موضع الشراك . ويقول صاحب مختار الصحاح ، الفرص ، القطع ، والمفراص ، الذى يقطع به الفضة . والفريصة ، لحمة بين الجنب والكتف لا تزل ترعد من الدابة وجمعها فريص ، وفرائص(٣١) .

كما أنهم وصفوه بأنه عضب وقاطع مثل السيف يقول طرفة :

بحسام سيفك أو لسانك والـ ـكليم الأصيل كأرغب الكليم

---

(٢٧) ذاته هامش رقم ١ .
(٢٨) ذاته ص ١٢ .
أقال الله فلانا عثرته بمعنى الصفح عنه وأصله من اقلته البيع يعنى فسخته . تبرأ . اصله . تبرأ من البرد وهو الشفاء .
(٢٩) الاشتقاق جـ ٢ ص ٢٧٤ .
(٣٠) ديوانه ص ٩٠ .
(٣١) مختار الصحاح للرازى ص ٤٩٨ مادة « ف ر ص » .

كما أننا نراهم يشبهون الكلام العذب المؤثر فى النفوس بالشباب الموشاة والديباج ، وما يشبه ذلك • قال الشاعر « أبو قردودة الطائى » يرثى « ابن عمار » خطيب مذحج ، وقد مات مقتولا :

ومنطق خـــرق بالعواسل لذ كوشى اليمنـة المراحل(٣٢)

وجميع ما تقدم يدل بما لا يدع مجالا لريبة أن الخطابة فى العصر الجاهلى كانت مزدهرة حيث أنهم كانوا ينعمون بالحرية ويتمتعون بكل نسماتها مما دفعهم إلى القول والتجويد ، والخطابة فى كل موقف من المواقف سواء أكان ذلك فى المنـافرات أو المفاخرات ، أو المعـاهدات والمصالحات ، أو الدعوة إلى الحرب ، وكذا فى توجيـــه النصـائح والإرشادات ، والزواج والمعاهدات • وكانوا دائما ينشدون التأثير فى نفوس السامعين ، والسـيطرة والاسـتيلاء على أفئدتهم وذلك بما يحققونه لهم من ألوان البيان ، وضروب البلاغة •

ويقول الدكتور « طه حسين » ليس بين أيدينا نصوص وثيقة من الخطابة الجاهلية ، وذلك لبعد المسافة بين العصر الذى قيلت فيه وعصر التدوين ، ولذلك كان ينبغى أن نحترس مما رواه منها صـاحب الأمالى ، وصاحب العقد الفريد ، فأكثره أو جمهوره منحول ، على أن إلهـامنا لنصوصـها لا ينتهى بنـا إلى إنكارها على الجـاهليين ، بل إنه لا ينتهى بنا إلى انكار إزدهارها كما حاول بعض الباحثين(٣٣) •

---

(٣٢) البيان والتبيين جـ ١ ص ٣٤٩ •
العواسل • الرماح اللدنة • المراحل • التى نقش فيها تصـاوير الرحال جمع رحل بالتشديد •
(٣٣) فى الأدب الجاهلى طه حسين ص ٣٧٤ بتصرف •

فقد كان كل شىء لديهم يؤهل لهذا الإزدهار حيث الحرية الكاملة باسمى معانيها وأرقى صورها ، وكثرة المشاحنات والمعارك والخصومات الموجودة بين القبائل الجاهلية المتطاحنة يومذاك ، بالإضافة إلى الدعوة تسلم تارة ، وللحرب تارات أخرى كل ذلك جعلهم يفننون فى القول ، ويجودون العبارة ، وينتقون الألفاظ ، ولا غرو فهـم أمراء البيـان ، وفرسان البلاغة ، ذوو اللسن والفصـاحة والقول ، ويقول الدكتور/ شوقى ضيف : « وليس بين أيدينا نصوص وثيقة نستطيع أن نحـكم أحكاما دقيقة على خطابتهم وصناعتهم فيها ، وحقا نجـد بعض خطب مبثوثة فى الطبرى والأغانى والأمالى والعقد الفريد ، ولكن هذه الخطب جميعا ينبغى أن نتلقاها بشىء من الاحتراس ، وخاصه ما رواه الكتاب الأخير من خطب طويلة لهم فى وفودهم على كسرى وغير كسرى ، فإن الانتحال ظاهر فيها(٣٤) ، أما الخطب الأخرى فأكبر الظن أن الرواة جمعوا بعض شظايا وقطع للقوم ، وزادوا عليها من خيالهم ، ومن ثم لا يصح الاستدلال بهذه الخطب جميعـا على أنهـا تمثل الخطـابة الجاهلية تمثيلا صحيحا ، هـذا والجاحظ على كثرة مروياته فى بيانه من خطب لم يستطع الاستشهاد للجاهليين إلا بجمل وصـيغ متفرقة لا تكون خطبـة كاملة ، ومهما يكن فنحن نؤمن بأن اكثـر ما يروى من الخطابة الجاهلية لا يصح الاطمئنان إليه من الوجهة التاريخية لطـول المسافة بين روايته وكتابته ، وإن كان ذلك لا يمنعنا من تسجيل بعض الظواهر والخصائص لتلك الخطابة ، فإن من يرجع إلى ما روى منهـا

---

(٣٤) الفن ومذاهبه فى النثر العربى د/ شوقى ضيف ص ٣٤ ط دار المعارف القاهرية •

فى كتب الأدب والتاريخ يلاحظ أن أغلب ما روى من خطب القوم روى مسجوعا ، ويؤكد الجاحظ أن النبى ﷺ هو الذى روى خطبة « قس ابن ساعدة الإيادى فى سوق عكاظ ، ويقول : إنه إسناد تعجز عنه الأمانى ، وتنقطع دونه الآمال ، ومع ذلك لم يستطع روايتها كاملة إنما روى أجزاء منها(٣٥) .

هى قوله : « أيها الناس اسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت ، آت ، آيات محكمات ، مطر ونبات ، وآباء وأمهات ، وذاهب وآت ، ضوء وظلام ، وبر وآثام ، لباس ومركب ، ومطعم ومشرب ، ونجوم تمور ، وبحور لا تغور ، وسقف مرفوع ، ومهاد موضوع ، وليل داج وسماء ذات أبراج . ما لى أرى الناس يموتون ولا يرجعون ، أرضوا فأقاموا ، أم حبسوا فناموا »(٣٦) .

وروى الجاحظ له أيضا قطعة من خطبة أخرى على هذا النحو : « يا معشر إياد ، أين ثمود وعاد ، وأين الآباء والأجداد أين المعروف الذى لم يشكر والظلم الذى لم ينكر »(٣٧) . وواضح أن هذه القطع من خطبة قس بنيت على السجع ، وقد روى الطبرى كلمة لنفيل بن عبد العزى فى منافرة عبد المطلب بن هاشم ، وحرب بن أمية ، وهى مسجوعة(٣٨) ، كما روى أبو عبيدة فى النقائض منافرة جرير ابن عبد الله البجلى ، وخالد بن أرطأة الكلبى إلى الأقرع بن حابس ،

---

(٣٥) ذاته .
(٣٦) ذاته .
(٣٧) ذاته ص ٣٥ .
(٣٨) الطبرى القسم الأول ص ١٠٩١ .

وهى مسجوعة أيضا(٣٩) « وبنيت على السجع كذلك منافرة « علقمة ابن علاثة وعامر بن الطفيل »(٤٠) ، ولم نسق ذلك لنسلم بصحة هذه المرويات من المنافرات وصحة صياغتها ، ولكنا سقناه لنخلص منه إلى أنه ثبت عند من كانوا يروون المنافرات والخطب الجاهلية انها كانت تعتمد اعتمادا شديدا على السجع(٤١) ، ويؤيد ذلك قول الجاحظ : إن ضمرة بن ضمرة ، وهرم بن قطبة ، والأقرع بن حابس ، ونفيل بن عبد العزى ، كانوا يحكمون وينفرون بالأسجاع وكذلك ربيعة بن حذار »(٤٢) . وقد اشتمل هذا النص على خطباء من تميم وأسد ، وفزارة وقريش ، وفى ذلك ما يدل على شيوع السجع فى الخطابة الجاهلية ، وما من شك فى أن صناعة السجع تحتاج إلى قيم موسيقية كثيرة حتى تتم معادلاته الصوتية ، وموازناته الإيقاعية ، وكانوا يدمجون كثيرا من الصور والتشبيهات والاستعارات فى هذا السجع كما كانوا يدمجون كثيرا من التجويد والتحبير(٤٣) ، ويشهد لهم الجاحظ بما كانوا يعانونه فى خطبهم وخاصة الطويلة منها إذ يقول : « لم ترهم يستعملون مثل تدبيرهم فى طوال القصائد وفى صنعة طوال الخطب ، وكانوا إذا احتاجوا إلى الرأى فى معاظم التدبير ومهمات الأمور ميثوه فى صدورهم ، وقيدوه على أنفسهم فإذا قومه الثقاف وأدخل الكير وقام على الخلاص أبرزوه محككا منقحا ومصفى من

---

(٣٩) النقائض لأبى عبيدة ج ١ ص ١٤١ .
(٤٠) الأغانى ج ١ الساس ج ١٥ ص ١٥ .
(٤١) الفن ومذاهبه فى النثر العربى ص ٣٥ .
(٤٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٢٩٠ .
(٤٣) الفن ومذاهبه ص ٣٥ .

الأدناس مهـــذبا »(٤٤) . ومع ذلك كله فنحن نرى أن الخطـــابة الجاهلية مع الإنهام لنصوصها لعـــدم التدوين وبعـــد الفاصل الزمنى بين العصر الذى قيلت فيـــه وعصر التدوين فإنه لا سبيل إلى انكارها أو الغض من قـــدرها ، أو إنكار إزدهارها كما حـــاول بعض الباحثين أو بعض المفترين على التراث ، فهى قمة فى البلاغة ، وقوة البيـــان ، وجزالة الألفـــاظ ، والإيقاع الموسيقى ، والتناغم الجميل المنبعث من التراكيب الفخمة ، والعبارات المتينة ، ولا غـــرو فالقـــوم أهل بديهـــة وارتجال ، كما يقول الجاحظ فى بيـــانه وتبيينه : « وكل شىء للعـــرب فانما هو بديهة وارتجال وكأنه الهام ، وليست هنـــاك معاناة ولا مكابدة ولا إحـــالة فكرة ، ولا استعانة ، وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام عند المقارعة أو المناقلة ، أو عند صراع ، أو فى حرب ، فما هو إلا أن يصرف وهمه إلى جمـــلة المذهب ، وإلى العمود الذى إليـــه يقصـــد ، فتأتيه المعانى ارسالا ، وتنثـــال عليـــه الألفاظ انثيـــالا ، وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر ، وهم عليه أقدر وله أقهر ، وكل واحـــد فى نفسه أنطق ، ومكانه من البيان أرفع ، وخطبـــاؤهم للكلام أوجـــد ، والكلام عليهم أســـهل ، وهو عليهم أيسر من غير تكلف ولا قصـــد ، ولا تحفظ ولا طلب »(٤٥) .

كل ذلك كان من عوامل إزدهار الخطابة فى العصر الجـــاهلى ، فقد تناول الخطبـــاء أغراضا شتى حيث أنهـــم كانوا يستخدمونها فى

---

(٤٤) البيان والتبيين ج ٢ ص ١٤ .

(٤٥) البيان والتبيين للجاحظ ج ٣ ص ٢٨ تحقيق هارون ونفس المصدر تحقيق حسن السندوبى ج ٣ ص ٢٦ .

أرســـالا . أفواجا .

منافراتهم ومفاخراتهم بالأحساب والأنساب كما أومأنا إلى ذلك آنفا ، وما لهم من مآثر خالدة كمنافرة « القعقاع بن سعد التميمى ، وخـــالد ابن مالك النهشلى » إلى « ربيعـــة بن حذار الأسدى »(٤٦) كما أنهم استغلوها فى التحريض على القتال وإثارة الحوافظ ، وأذكاء نار الحرب بين القبائل ، يقول « أبو زيد الطائى » :

وخطيب إذا تمعـــرت الأو ... جه يوما فى مأقط مشهود

ويقول « الخصفى » من محارب ، وإسمه الحقيقى عامر المحاربى :

هم يطدون الأرض لولاهم ارتمت
بمن فوقهـــا من ذى بيان وأعجما
وهم يدعمون القوم فى كل موطن
بكل خطيب يترك القـــوم كظما
يقوم فلا يعيـــا الكلام خطيبنـــا
إذا الكرب أنسى الجبس أن يتكلما(٤٧)

وكما كان خطباؤهم يدعون للحرب ويحضون عليهـــا ، فقـــد كان بعضهم يدعو للسلام ويشجع عليه ، وينفر من الحرب وويلاتها .

يقول الشاعر « ربيعة بن مقروم الضبى » :

ومتى يقم عند اجتماع عشيرة ... خطباؤنا بين العشيرة يفصل

---

(٤٦) ذاتـــه ص ٢٧٢ .

(٤٧) المفضليات للضبى ص ٣٢٠ وما بعدها رقم ٣٩١ تمعرت . اوبدت وتغيرت . المأقط . مكان القتال . كظما جمع كاظم وهو الساكت غيظا . الجبس اللئيم . يطدون . يشيدون ويبنونها .

وقد ينبرون فى الأسواق مرشدين وناصحين لأقوامهم كما فعل « قس بن ساعدة الإيادى » فى سوق عكاظ .

كما اشتهرت لديهم الخطب الاجتماعية والتى نشهدها فى الأعراس ومحافل الزواج وخطبة النساء ، مثل خطبة « أبو طالب » لدى خطبة السيدة الفضلى « خديجة بنت خويلد » لرسول الله ﷺ ، يقول أديب العربية « الجاحظ » « وكانت خطبة قريش فى الجاهلية — يعنى خطبة النساء — : « بإسمك اللهم ، ذكرت فلانة وفلان بها مشغوف ، بإسمك اللهم لك ما سألت ولنا ما أعطيت »(٤٨) وكان من عادة العرب فى هذه الخطبة أن يطيل الخاطب ويقصر المجيب »(٤٩) ويستطرد الجاحظ متحدثا عن الخطابة الجاهلية بوجه عام فيقول : « ثم اعلم بعد ذلك أن جميع خطب العرب من أهل المدر والوبر ، والبدو والحضر على ضربين : منها الطوال ، ومنها القصار ، لكل ذلك مكان يليق به ، وموضع يحسن فيه ، ومن الطوال ما يكون مستويا فى الجودة ، ومتشاكلا فى إستواء الصنعة ، ومنها ذوات الفقر الحسان ، والنتف الجياد ، وليس فيها بعد ذلك شىء يستحق الحفظ ، وإنما حظه التخليد فى بطون الصحف ، ووجدنا عدد القصار أكثر ، ورواة العلم إلى حفظها أسرع »(٥٠) على أية حال فمما أومأنا إليه آنفا استبان لنا بجلاء ووضوح تامين أن الخطابة كانت مزدهرة فى العصر الجاهلى ، ودليلنا على ذلك تنوعها ، وخوضها غمار أعراض متباينة من المفاخرة ،

---

(٤٨) البيان والتبيين ج ١ ص ٤٠٨ . تحقيق هارون .
(٤٩) ذاته ص ١١٦ .
(٥٠) ذاته ج ٢ ص ٧ .

والوفادة على الأمراء ، والنصح والإرشاد والدعوة للحرب ، أو الدعوة السلام ، أو المنافرات والمفاخرات . والحق أن خطباء العصر الجاهلى نهضوا بخطابتهم نهضة واسعة ولذلك لم يكن غريبا أن يستمع الرسول ﷺ إلى بعضهم وهو يخطب يقول « إن من البيان لسحرا »(٥١) ولم يكن هذا البيان الساحر شيئا خاصا بهذا الخطيب وهو « عمرو بن الأهتم » حينما سأله النبى عليه السلام عن « الزبرقان ابن بدر » بل كان شيئا عاما بين الخطباء ، إذ ذهبوا جميعا مذهب التجويد والتحبير حتى يستميلوا الأسماع ويخلبوا الألباب .

الأعراف والتقاليد لدى الخطباء الجاهليين :

قد كان لخطباء الجاهلية أعراف وعادات وتقاليد لدى القائهم الخطب حيث أنهم كانوا يخطبون وهم وقوف على مرتفع من الأرض أو على رواحلهم ، وهم يمسكون بالعصى والقضبان ، والقس والقنا وقد كان للعصبية القبلية وما بين القبائل من منازعات أثر كبير وواضح جلى فى هذه العادة العربية الجاهلية من اتخاذ المخاصر والعصى والقناء يقول الجاحظ : « وقد تعارف خطباؤهم على جملة من السنن والتقاليد فى خطابتهم ، فكانوا يخطبون على رواحلهم فى الأسواق العظام والمجامع الكبار »(٥٢) وقد لبسوا العمائم على رؤوسهم ، وكانوا فى أثناء خطابتهم يمسكون بالمخاصر والقسى والقنا والعصى واقفين أو واقفين على مرتفع من الأرض ، ويومىء الشاعر « لبيد بن ربيعة » إلى ذلك بقوله :

---

(٥١) ذاته ج ١ ص ٥٣ .
(٥٢) ذاته ج ٣ ص ٧ .

ما أن أهلب إذا السرادق عمه قرع القسى وأرعش الرعديد(٥٣)

ويستطرد الجاحظ فى بيانه مبينا فوائد الإمساك بهذه الآلات لدى الخطابة فيقول : « إن حمل العصا والمخصرة دليل على التأهب للخطبة ، والتهيؤ للاطناب والإطالة ، وذلك شىء خاص فى خطباء العرب ، ومقصور عليهم ، ومنسوب إليهم ، حتى إنهم ليذهبون فى حوائجهم والمخاصر بأيديهم إلفا لها ، وتوقعا لبعض ما يوجب حملها والإشارة بها »(٥٤) . وقد حملت الشعوبية حملة شعراء على العرب لاتخاذهم فى خطابتهم المخاصر والعصى ووصل أيمانهم بالقضبان والقسى حيث يقول الجاحظ : « قالت الشعوبية ومن يتعصب للعجمية . القضيب للإيقاع ، والقناة للبقار ، والعصا للقتال ، والقوس للرمى ، وليس بين الكلام وبين العصا سبب ولا بينه وبين القوس نسب ، وهما إلى أن يشغلا العقل ويصرفا الخواطر ، ويعترضا على الذهن أشبه ، وليس فى حملهما ما يشحذ الذهن ولا فى الإشارة بهما ما يجلب اللفظ ..... الخ »(٥٦) وقد رد عليهم الجاحظ ردا مفحما فى أماكن متفرقة من صدر الجزء الثالث من بيانه . وقد عرفت العرب محاسن وعيوب الخطيب ، وذلك دليل على مهارتهم فى هذا الفن ، وضلاعتهم فيه ، حيث إنهم كانوا يمتدحون فى الخطيب ثبات الجنان ، وحضور

---

(٥٣) ذاته جـ ١ ص ٣٧٢ بتصرف .
(٥٤) ذاته جـ ٣ ص ١١٧ .
(٥٥) ذاته .
المآلى جمع مثلاة وهى خرقة تمسكها المرأة عند النوح .
(٥٦) ذاته جـ ٣ من ص ١٢ الى ص ٢٧ .

البديهة ، وقلة التلفت ، وجهارة الصوت ، وعابوا فيه الارتعاش ، والعى والحصر وكثرة التنحنح والتلعثم فى الكلام ، أو أن يمس ذقنه ولحيته وشاربه .

يقول الشاعر « النمر بن تولب » :

أعذنى رب من حصر وعى ومن نفس أعالجها علاجا(٥٧)

ويقول الشاعر « أبو العيال الهذلى »(٥٨) :

ولا حصر بخطبته إذا ما عزت الخطب

ويقول الشاعر « معن بن أوس المزنى » هاجيا :

إذا اجتمع القبائل جئت ردفا
وراء الماسحين لك السيالا
فلا تعطى عصا الخطباء فيهم
وقد تكفى المقادة والمقالا(٥٩)

وبذلك قد هجاه بأنه ليس خطيبا ولا رئيسا ، كما أنهم عدوا التقعقع فى الكلام والتنحنح من دلائل العى يقول الشاعر :

---

(٥٧) ذاته جـ ١ ص ٣ .
(٥٨) ذاته .
النمر بن تولب شاعر مخضرم ادرك الاسلام فاسلم وحسن اسلامه
أبو العيال الهذلى . أحد الشعراء المخضرمين ، عمر وعاش الى خلافة معاوية وكان هو وبدر بن عامر يسكنا مصر ، خرجا اليها فى خلافة عمر بن الخطاب .
(٥٩) ذاته جـ ١ ص ٣٧٢ .

ومن الكبائر مقول متعتـــع جم التنحنح متعب مبهور(٦٠)

أى منقطع النفس من الإعيـــاء ، ومما يدل على الحصر وتصعب القول وشدته على القائم به « العرق » يقول الشاعر :

لله در عـــامر إذا نطـــق
فى حفل أمـــلاك وفى تلك الحلق
ليس كقـــوم يعرفون بالســـرق
من كلّ نضاح الذفارى بالعرق(٦١)

وينبغى للخطيب ألا يستعمل فى الأمر الكبير الكلام الفطير الذى لم يخمره التدبر والتفكير ، فيكون كما قالَ الشاعر :

وذى خطلٍ فى القول يحسب أنه مصيب وما يعرض له فهو قائله(٦٢)

بل يكون كما قال الآخر :

وقوف لدى الأمـــر الذى لم يبن له
ويمضى إذا ما شك من كان ماضـــيا(٦٣)

وأن يكون لسانه سالمـــا من العيوب إلى تشين الألفاظ ، فلا يكون

---

(٦٠) نقـد النثر لقدامة بن جعفر ص ١١٠ .
(٦١) ذاتـه .
السبال جمع سبلة ـ مقدم اللحية . سرقت مفاصله كفرح ضعفت . نضحت القربة كمنع . وشحت ، الذفارى جمع ذفرى وهى العظم الناشص خلف الأذن .
(٦٢) ذاتـه ص ١١١ .
(٦٣) ذاتـه .

الثغ ولا فأفاء ، ولا ذا رتة ، ولا تمتاما ، ولا ذا حبسة ولا ذا اقف ، فإن ذلك أجمع مما يذهب ببهاء الكلام ، ويهجن البلاغة وينقص حلاوة المنطق(٦٤) . وما يزيد فى حسن الخطابة وجلالة موقعها جهارة الصوت ، فإنه من أجل أوصاف الخطباء ، ولذلك قال الشاعر :

جهـير الكلام جهـير العطـا بين شديد النياط جهير النغم(٦٥)

وقال آخـر :

إن صاح يوما حسبت الصخر منحدرا
والريح عاصفة والموج يلتطم(٦٦)

وذم آخر بعض الخطباء برقة الصوت وضآلته ، فقال :

ومن عجب الأيام أن قمت خاطبا
وأنت ضئيل الصوت منتفخ السحر(٦٧)

وليس ينبغى للخطيب أن يحضر عند رمى الناس بأبصارهم إليه ، ولا يعبأ بالكلام عند قبالهم عليه(٦٨) ؛ ومن الأوصاف التى إذا كانت

---

(٦٤) ذاتـه ص ١١ وما بعدها .
(٦٥) ذاتـه ص ١٠٩ .
(٦٦) ذاتـه .
(٦٧) ذاتـه .
(٦٨) ذاته ص ١٠٩ ، الالثغ . الذى لا يستطيع أن يتكلم بالراء الفافاء الذى يكثر ترداد الفاء اذا تكلم . ولا ذا رتة : أى ذا عجلة فى الكلام وقلة أناة قبل ارته أن يقلب اللام ياء . التمتام . من يردد التاء فى كلامه . الحبسة

فى الخطيب سمى سديدا ، وكان من العيب منها بعيـدا ، أن يكون فى جميع ألفاظه ومعانيه جاريا على سجيته غير مستكره لطبيعته ولا متكلف ما ليس فى وسعه ، فإن التكلف إذا ظهر فى الكلام هجنه وقبح موقعه وحسبك من ذم التكلف أن الله عز وجل أمر رسوله ﷺ بالتبرؤ منـه ، فقال : « قل ما أسألكم عليه من أجـر وما أنا من المتكلفين »(٦٩) . وألا يظن أن البلاغة إنما هى الإغراب فى اللفظ والتعمق فى المعنى ، فإن أصل الفصيح من الكلام ما أفصح عن المعنى ، والبليغ ما بلغ المراد ، ومن ذلك اشتقا ، فأصح الكلام ما أفصح عن معانيه ولم يحوج السامع إلى تفسير له ، بعد ألا يكون كلاما ساقطا أو لألفاظ العـامة مشـبها ، ولذلك قال بعضهم فى وصف البلاغة : « هى أن يتساوى فيهـا اللفظ والمعنى ، فلا يكون اللفظ أسبق إلى القلب من المعنى ، ولا المعنى أسبق إلى القلب من اللفظ »(٧٠) .

تعذر الكلام عند ارادته . اللفف فى الكلام . ثقل وعى مع ضعف ، ورجل ألف أى عيى بطىء الكلام اذا تكلم ملأ لسانه فمه . بنياط القلب عرق غليظ نيط به القلب الى الوتين . انتفخ سحره بفتح السين أى عدا طوره وجاوز قدره ، ومن معانيه أيضا الرتة يقول : ان سـدت فراغ صـدره فضـول صـوته .

(٦٩) سورة ص آية رقم ٨٦ .

(٧٠) نقد النثر لقدامة بن جعفر ص ١٠٥ .